

حكم ذاتي للجميع

يعتقد البعض انه اخترع البارود عندما يبني معارضته التسوية السلمية (بشقها الفلسطيني فحسب) على "اكتشاف" مكائد اسرائيل وسوء نيتهما، فضلا عن رفضها احترام قوانين اللعبة (وكان التسوية لعبة) ورغبتها في تحجيم الحكم الذاتي الفلسطيني، او كما قال احد هؤلاء المخترعين في مجلس الشعب المصري، في ادخال ياسر عرفات الى السجن الاسرائيلي. انه فعلا لاكتشاف عظيم! لكن الاكتشاف الفعلي ليس في انكشاف وجه اسرائيل في دور "الشرير"، انه في سذاجة الذين يعتقدون انما قد تتخلى فجأة عن هذا الدور. ولعل المفارقة الكبرى ان مثل هذا الاعتقاد لا يسود عند دعاة التسوية والمدافعين عن الحكم الذاتي وانما عند معارضيه، اولئك الذين قادهم منطق الحروب الاهلية العربية الى التلذذ بهزائم الشعب الفلسطيني، وحيانا الى استعجال حصولها. بيد ان الاحتمال الاسوأ ليس بالضرورة الاحتمال الصائب، كما تأكد ذلك مرة اخرى من تحولات الساحة الفلسطينية في الشهرين الاخيرين.

قبل شهرين، كانت الصحافة العربية تعدّ العدة للاحتفال بالحرب الاهلية الفلسطينية المشتهمة. كان ذلك بعد اطلاق النار على تظاهرة اصولية في غزة. مضت الاسابيع ولم تندلع الحرب المعلن عنها. صحيح ان العوامل، الموضوعية منها والذاتية، التي قد تؤدي الى مثل هذا التحول لم تغب كلياً.

غير ان ما بدا على الساحة الفلسطينية يوحي بتحول معاكس: تكافل جهود كل الفصائل الفلسطينية في المواجهة مع مشاريع التوسع الاستيطاني في الضفة الغربية؛ خوض السلطة الفلسطينية نفسها معركة الاستيطان على الارض؛ بداية التبدل في الموقف المبدئي لبعض رموز المعارضة الفلسطينية في الشتات من مسألة العودة الى مناطق الحكم الذاتي (وابرز مؤشر على ذلك ما نسب الى نايف حواتمة من رغبة في هذا المجال).

بالطبع، لم تنعكس هذه التوجهات الجديدة جذريا على الاداء التفاوضي للسلطة الوطنية وعلى ادارتها العملية، وان يكن من الممكن رصد تحسن طفيف على هاتين الجبهتين. غير ان تبدد شبح الحرب الاهلية من شأنه الدفع نحو المزيد من التحسن في الاداء. فعندما يفهم المعارضون ان فشل الحكم الذاتي يعني المجتمع الفلسطيني بأسره، تدرك السلطة بدورها انما ليست فريقاً عادياً بين أفرقاء عدة، وانما هي المرجع المعرض للمساءلة والمحاسبة بعيداً عن منطق التخوين المسبق.

بهذين الشرطين، يمكن اعادة بناء الموقع التفاوضي الفلسطيني، وصولاً الى كسر جدران "السجن الاسرائيلي".
اما اسرائيل، فلتبقي ما نشأت في دور "الشرير".

سمير قصير